

اتجاهات العلوم في المؤسسات التعليمية بالقاهرة في العصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨ هـ/ ١١٧٤-١٢٥٠ م)^(*)

الباحث/ خليفة سعيد علي المزروعى
طالب ماجستير - قسم التاريخ
والحضارة الإسلامية - جامعة الشارقة

أ.د/ مأمون صالح عبد الكريم
أستاذ التاريخ والحضارة
الإسلامية - جامعة الشارقة

المخلص

يهدف هذا البحث إلى تقييم الجوانب المختلفة لتأريخ المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخط والآثار للمقريزي، واستعراض موضوعات وأنواع العلوم التي يتم تدريسها واتجاهات المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي، وأثر ذلك على الحركة العلمية آنذاك، وتوضيح دور المؤسسات التعليمية في ازدهار الحياة العلمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي، حيث تأثرت المؤسسات التعليمية وموضوعاتها ومناهجها خلال العصر الأيوبي بالواقع السياسي والديني والاجتماعي والثقافي في تلك الحقبة الزمنية، وانعكس ذلك في وجوه عديدة، بشكل إيجابي أو سلبي على الحركة التعليمية، مما يبرز الحاجة إلى الكشف عن دلالات وأبعاد ونتائج المتغيرات التربوية والتعليمية والثقافية، وهو ما حاول هذا البحث معالجته، وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها أن القاهرة في عصر الأيوبيين كانت محور نشاط علمي وفكري كبير جاء مصاحباً للنشاط السياسي والديني والاقتصادي المزدهر، واتضح أن إجلال السلاطين والأمراء في العصر الأيوبي للعلم والعلماء، ومشاركتهم في تحصيله، وإقامة العديد من المنشآت والمؤسسات الدينية والتعليمية، وحبس الأوقاف عليها، كل ذلك ساهم في التشجيع على تحصيل العلم ورعاية الطلاب والعلماء.

الكلمات الدالة: العصر الأيوبي - المؤسسات التعليمية - الوقف - العلوم الدينية والإنسانية والعقلية.

(*)مجلة المؤرخ المصري، عدد يوليو ٢٠٢٣، العدد الثالث والستون.

Abstract

The aim of this research is to evaluate the different aspects of the history of educational institutions in Cairo during the Ayyubid period in the book of sermons and consideration by mentioning the plans and effects of Al-Maqrizi, and to review the topics and types of science that are taught and the trends of educational institutions in Cairo during the Ayyubid period, and its impact on the scientific movement at that time, and to clarify the role of institutions Education in the flourishing of scientific life in Cairo during the Ayyubid period, where educational institutions, subjects and curricula were affected during the Ayyubid period by the political, religious, social and cultural reality of that time period, and this was reflected in many aspects, positively or negatively, on the educational movement, which highlights the need to reveal Indications, dimensions and results of the educational and cultural variables, which is what this research tried to address. The research reached several results, the most important of which is that Cairo in the Ayyubid period was the focus of great scientific and intellectual activity that accompanied the thriving political, religious and economic activity. On it, all of this contributed to encouraging the acquisition of knowledge and caring for students and scholars.

Key words: The Ayyubid period - educational institutions - endowment - religious, human and mental sciences.

مقدمة

كانت القاهرة في العصر الأيوبي محور نشاط علمي وفكري كبير، وجاء ذلك مصاحباً للنشاط الديني والعمراني والاجتماعي والاقتصادي المزدهر خلال ذلك العصر، والواقع أن مظاهر النشاط العلمي في العصر الأيوبي لا تتمثل فقط في تلك الأبنية التي شيدها من مساجد ومدارس وخانقاوات، والتي ما زالت نماذج منها باقية حتى اليوم، ولكن تمثل أيضاً في التراث الضخم الذي خلفه العلماء والفقهاء والأدباء في مؤلفاتهم التي ما زالت تعتبر في طليعة مراجع البحوث والدراسات في شتى ألوان الثقافة الإسلامية، بالإضافة إلى الإسهامات التي جاء بها علماء هذا العصر في مجال علوم الطب والفلك

والكيمياء والفيزياء والرياضيات والنبات والجيولوجيا، حيث توافر للحركة العلمية في ذلك العصر عدة عوامل داخلية وخارجية ساعدت مجتمعه على ازدهارها، ولعل من أهمها ما حرص عليه كثير من سلاطين الأيوبيين وأمراءهم والأعيان من إقامة العديد من المنشآت الدينية والتعليمية، وحبس الأوقاف عليها، وإجلالهم للعلم والعلماء ومشاركتهم في تحصيله^١.

ازدهرت النهضة العلمية في مصر أيام الأيوبيين، فقد شيّدوا المدارس لدعم المذهب السني، ولتوعية الناس به، وتعزيز مكانة أهل السنة العلمية، وكانت المدارس من الأجهزة الرسمية السياسية الهامة، هدفها زيادة شعبية الحكام بين الناس واكتساب ثقتهم، وبخاصة أنهم كانوا غرباء عن البلاد التي كانوا يحكمونها، بالإضافة إلى تخريج القضاة، والخطباء، والموظفين اللازمين للدولة^٢.

دعم الأيوبيون المكتبات والزوايا والربط والخانقوات، وأسسوا دور القرآن الكريم والحديث الشريف، لتكون جميعها مراكز ومؤسسات تعليمية للمسلمين، ولرغبتهم في بلوغ الثقافة العربية الإسلامية مرحلة متقدمة من التطور، واتساع الحاجة للتعليم في المجتمع، لذلك اتبع صلاح الدين الأيوبي في تأسيس مؤسسة الدولة الأيوبية سياسة نور الدين زنكي في بناء المؤسسات التعليمية^٣.

وقد ذكر "المقريزي" (ت ١٣٦٤م - ١٤٤٢م)^٤ في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) المؤسسات التعليمية، فيقول: إنها محدثة في الإسلام، ولم تكن موجودة زمن الصحابة ولا زمن التابعين، وإنما بدأ تأسيسها بعد سنة (٤٠٠هـ - ١٠٠٩م) وشهدت فترة أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري نشاطاً ملحوظاً في استحداث دور العلم، وهي المؤسسات التعليمية التي كانت تستقبل طلاب العلم، وأنشئت في مصر دور مشابهة لها كانت مدارس علمية، حيث اشترى العزيز بالله الفاطمي سنة (٣٧٨هـ - ٩٨٨م) داراً إلى جانب الجامع الأزهر، وجعلها لخمس وثلاثين من العلماء والفقهاء

الذين يعقدون مجالسهم العلمية في المسجد كل يوم جمعة، كما أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، بإنشاء دار سميت بدار العلم أو دار الحكمة في مدينة القاهرة، وحمل إليها الكتب والمجلدات العلمية والفقهية من كل البلاد، وكان يدخل إليها سائر الناس يقرأون وينسخون، ورتب فيها جماعة من العلماء لتدريس الناس العلوم المختلفة، وخصص لها ميزانية كل عام للإنفاق على حاجاتها من الورق والحبر والأقلام وأجرى على من يعمل فيها الرواتب والأرزاق ونحوها^٥.

وجدير بالذكر أن المؤسسات التعليمية التي أنشئت في العصر الأيوبي متعددة، حيث كان هناك اهتمام واضح بالتعليم الديني على المذهب السني، وتعددت هذه المؤسسات لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة، وبدأت المؤسسات التعليمية عن طريق إنشاء صلاح الدين الأيوبي للمدرسة الناصرية سنة (٥٦٦هـ / ١١٧١م)، بجوار جامع عمرو بن العاص لتعليم المذهب الشافعي، وتعد هذه المدرسة أولى المؤسسات التعليمية التي أنشئت في الدولة الأيوبية عامة، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، فأنشأ المدرسة القمحية لتعليم المذهب المالكي، وقد أوقف صلاح الدين الأيوبي على هذه المؤسسات مجموعة من الأوقاف الزراعية والتجارية، لكي يضمن دخلاً ثابتاً للطلاب وللمشايخ الذين يقومون بتدريس العلوم والفقه، وقد مضى على هذه الطريقة خلفاء صلاح الدين الأيوبي من ملوك وأمراء الدولة الأيوبية^٦.

وسيركز هذا البحث على اتجاهات العلوم في المؤسسات التعليمية في القاهرة في العصر الأيوبي، وذلك من خلال استعراض موضوعات وأنواع العلوم التي يتم تدريسها واتجاهات المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي، وأثر ذلك على الحركة العلمية آنذاك.

أهمية البحث وأهدافه:

يأتي اهتمام سلاطين وأمراء الدولة الأيوبية بالتعليم والعلم، لأنهم كانوا محبين للثقافة، فقد كان مجلس صلاح الدين الأيوبي يحفل بوجود نخبة من العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء، الذين كان يجزل لهم العطاء ويقربهم منه ويستشيرهم في أمور السياسة والحياة، وقد عرض المقرئ في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ما جمعه عن المؤسسات التعليمية وأوصافها وأماكن تواجدها، وموضوعات تدريسها، وكذلك إدارة تلك المؤسسات التعليمية، وذلك من خلال عرض علمي دون أن يتخذ المقرئ لعرضه خطأ زمنياً يؤرخ على مقتضاه أو خطة موضوعية يرتب عليها ما هو بصدده، مما جعل المؤسسات التعليمية وأنواعها في القاهرة تبدو كثيرة فعلاً.

وعليه يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تقييم الجوانب المختلفة لتأريخ المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقرئ.
2. استعراض موضوعات وأنواع العلوم التي يتم تدريسها واتجاهات المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي، وأثر ذلك على الحركة العلمية آنذاك.
3. توضيح دور المؤسسات التعليمية في ازدهار الحياة العلمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في تأثير المؤسسات التعليمية وموضوعاتها ومناهجها خلال العصر الأيوبي بالواقع السياسي والديني والاجتماعي والثقافي في تلك الحقبة الزمنية، وانعكس ذلك في وجوه عديدة، بشكل إيجابي أو سلبي على الحركة التعليمية، مما يبرز الحاجة إلى الكشف عن دلالات وأبعاد ونتائج

المتغيرات التربوية والتعليمية والثقافية، وهو ما يحاول هذا البحث معالجته من خلال تحليل الوقائع والأحداث وتفسيرها بقصد التوصل إلى صورة دقيقة عن اتجاهات العلوم ووسائل تدريسها في المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الاستردادي التوثيقي من خلال جمع أكبر قدر من المعلومات التاريخية وتدقيقها وتكوين صورة شاملة عن تاريخ المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي وتقييم الجوانب المختلفة لتاريخ المؤسسات التعليمية في العصر الأيوبي، كما اعتمد هذا البحث أيضاً على المنهج الوصفي التحليلي لتحليل موضوعات وأنواع العلوم في المؤسسات التعليمية بالقاهرة خلال فترة الدراسة وأثر ذلك على ازدهار العلوم آنذاك.

الدراسات السابقة:

حظيت مصر عمومًا والقاهرة خصوصًا بالعديد من الدراسات التي تناولتها في العصر الأيوبي، وقد تناولت بعض هذه الدراسات المؤسسات التعليمية في القاهرة بشكل جزئي أثناء حديثها عن التاريخ الأيوبي، إلا أن المؤسسات التعليمية في القاهرة ومن خلال مصدر مهم أرخ للمؤسسات التعليمية في مصر لم تحظ بدراسة مستقلة وجدية، ومن الدراسات التي تناولت الموضوع ما يلي:

1. دراسة (خلدون خليل الحباشنة، المقريري ومنهجه في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الزيتونة الأردنية، المجلد ٤٦، العدد ٢، ٢٠١٩م): تناولت هذه الدراسة منهجية المقريري التاريخية في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وذلك من خلال التعريف به وتبيان ريادته في الكتابة بالخطط، وتسليط الضوء على منهجيته التي اتبعها في هذا الكتاب

وتداخلها بالمعطيات العلمية والثقافية، مستفيداً من تجاربه وتوظيف عدد كبير من المصادر المتنوعة.

٢. دراسة (محمد إبراهيم الداودي، تمويل المدارس في العصر الأيوبي، مجلة كلية التربية، بورسعيد، مصر، العدد السابع، يناير ٢٠١٠م): هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على نشأة المدارس في العصر الأيوبي والكشف عن مصادر تمويلها والإنفاق عليها، حيث شهد العصر الأيوبي نهضة فكرية وثقافية وأدبية وتشجيع العلماء، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها حرص الأيوبيين على إنشاء الكتاتيب والمدارس لدورها في تعليم الفقراء واليتامى، وكذلك إنشاء المكتبات لدورها في إثراء الحياة العقلية والعلمية في العصر الأيوبي.

٣. دراسة (عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م): هدفت هذه الدراسة إلى توضيح مظاهر العملية التعليمية في مصر في العصر الأيوبي، وبيان دور الأيوبيين في نشأة المدارس كمركز للتعليم في مصر في ذلك العصر، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن للتعليم في مصر في العصر الأيوبي أثره في ازدياد سلطة أهل السنة وقيام حركة إنشاء المدارس في القاهرة.

٤. دراسة (ناصر جمعة محمد، الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، ٢٠٠٤م): هدفت هذه الدراسة إلى إبراز مظاهر الحياة العلمية في صعيد مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، واستخدمت هذه الدراسة المنهج التاريخي والوصفي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن مصر وصلت إلى أزهى عصورها العلمية والفنية والمعمارية أيام الأيوبيين، وازدهرت الحياة العلمية ازدهاراً ملحوظاً وانتعشت في العصر الأيوبي والمملوكي.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتقديم دراسة شاملة تستعرض موضوعات وأنواع العلوم التي يتم تدريسها واتجاهات المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي، وأثر ذلك على الحركة العلمية آنذاك

أولاً- المنظومة التعليمية في القاهرة في العصر الأيوبي:

كانت مصر في عصر الأيوبيين^٦ محور نشاط علمي وفكري كبير جاء مصاحباً للنشاط الديني والاقتصادي المزدهر خلال ذلك العصر، ولعل ذلك هو ما أكده ابن خلدون بقوله: "... نحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر، كما أن عمرانها مستبحر، وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين، فاستحكمت فيها الصنائع وتفتت، ومن جعلتها تعلم العلم"^٨.

والواقع أن مظاهر النشاط العلمي في ذلك العصر، لا تتمثل فقط في تلك العمائر التي شيدها في مصر من مساجد ومدارس وخانقاوات، ما زالت نماذج منها باقية حتى اليوم، ولكن تتمثل أيضاً في ذلك التراث الرائع الضخم الذي خلقه العلماء والفقهاء والأدباء في مؤلفاتهم التي ما زالت تعتبر في طليعة مراجع البحوث والدراسات في شتى ألوان الثقافة الإسلامية، هذا بالإضافة إلى الإسهامات التي تزعمها علماء هذا العصر في مجال علوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات^٩.

وللتعرف على واقع المنظومة التعليمية في العصر الأيوبي، سيتم توضيح ذلك على النحو التالي:

١- نظام التعليم في المجتمع الأيوبي:

لما جاء صلاح الدين الأيوبي اقتفى أثر نور الدين زنكي في بناء المدارس في أنحاء مختلفة من القاهرة، فلدى توليه وزارة العاضد في مصر أسس مدرسة الشافعية بجوار الجامع العتيق عرفت بأسماء كثيرة منها "المدرسة الناصرية"، كما أسس مدرسة للمالكية عرفت باسم "المدرسة القمحية"، وبعد

موت العاضد استمر صلاح الدين في بناء المدارس وتابع خلفاؤه من بعده رعاية التعليم، حيث اشتهر سلاطين الأيوبيين بحبهم للعلم والعلماء، وتشجيعهم على بناء المدارس^{١٠}.

ويلاحظ أن الأيوبيين لم يضعوا نظامًا شاملًا للتعليم يشمل أنظمة قبول الطلاب وعدد سنوات الدراسة والمناهج التعليمية المرغوبة، إلا أنهم أوجدوا الفرص التي تساعد على إعادة بناء المجتمع بشكل أفضل، ففتحوا المدارس وأوجدوا فرص الالتحاق بالمعاهد التعليمية للكافة، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرين أساسيين لمناهج من الدراسات اللغوية والفقهية والتاريخية والعلمية والأدبية.

حيث يرى البعض أن الأيوبيين اعتقدوا أن بناء المجتمع يتم بإحياء التراث الإسلامي، والسير على منهاج السلف بقصر التعليم على العلوم الدينية والعربية، ولكن بعض الملوك كالناصر داوود فتحوا نوافذهم لكل جديد، فانتشرت الفلسفة والمنطق وعلوم الطب والكيمياء والفلك^{١١}.

كان التعليم في العصر الأيوبي في بادئ الأمر يتم في المساجد، إذ كان العلماء يقصدون المساجد لتعليم الناس الذين كانوا يقبلون على العلم امتثالاً لأوامر القرآن الكريم والسنة النبوية، وظل الناس يلتفون حول العلماء ويأخذون عنهم من غير أن تتدخل الدولة في التعليم^{١٢}.

فقد أسس الأيوبيون المؤسسات التعليمية لتأمين الولاء الروحي، وفرض هيبته على السكان، إذ في الوقت الذي استمروا فيه في رعاية المدارس والربط والخانقاوات والمساجد وتعيين مدرسيها وشيوخها، كانوا يعزلونهم عن العمل إذا خرجوا عن أوامرهم ومعتقداتهم^{١٣}.

وأصبح تدخل الأيوبيين مباشرًا في النظام التعليمي، حيث كانوا يرعون المدارس ويحددون الموضوعات والمناهج التعليمية كذلك، وأصبح معظم

المدرسين موظفين في الدولة، يتناولون أجورهم إما من الدولة أو الأوقاف، ويؤدون أعمالهم بتوجيه من الحكام ورغباتهم، ولم يمس هذا التدخل المدرسين الذين كانوا يلقون دروسهم في المساجد في بداية الأمر، بعد صلاة العصر أو العشاء، شريطة أن يدرسوا وفق المذهب السني الذي حددته الدولة الأيوبية^{١٤}.

ويبدو للباحث أن الأيوبيين لم يدركوا في بادئ الأمر أهمية وجود مؤسسة رسمية للتعليم ترعى شؤونه وتضع نظمه ومناهجه، وتوفر له الكوادر اللازمة، وتخصص الميزانية الضرورية، وبهذا ترك التعليم زمن الأيوبيين يعتمد إلى حد كبير على جهد الأفراد الذين يعينهم أمره، مع التركيز على توجيهات عامة يصدرها السلطان والأمراء للمعلمين الذين يتقاضون رواتب من الدولة والأوقاف.

يتضح مما تقدم أنه لم يكن يوجد قوانين واضحة ومحددة أو أنظمة تضبط التعليم وتوجهه بشكل رسمي وسليم في العصر الأيوبي، إلا أن الأعراف والتقاليد الشفوية أصبحت ممارسة يومية للمدارس في الدولة، وأصبح اقتفاء أثر السلاطين في بناء المدارس وتعيين المدرسين ركناً أساسياً في الحركة التعليمية، ولذلك شهدت الحركة التعليمية في عهد الأيوبيين نشاطاً ملحوظاً، فانتشرت المدارس والخانقوات والربط والزوايا، بالإضافة إلى المساجد، وأقبل الناس على التعليم، ولم يبخل العلماء بعلمهم، فكانوا يلقون الدروس في المدارس والمساجد والمراكز ذات الأثر التعليمي.

٢ - أهداف التعليم في العصر الأيوبي:

تختلف أهداف التعليم من بلد إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ذلك أن الأهداف التربوية هي وليدة مطالب وحاجات اجتماعية خاصة، وجدير بالذكر أن المجتمع الأيوبي جزء من الأمة الإسلامية، لذلك كانت الأهداف التعليمية في الدولة الأيوبية مشابهة إلى حد كبير لأهداف التعليم عند العباسيين، بالرغم

من تحمل الأيوبيين عبء الجهاد ومقاومة الصليبيين^{١٥}.

حدد الأيوبيون أهداف التعليم من مصادر عديدة فرضتها طبيعة الناس وظروف المجتمع الأيوبي والظروف البيئية التي عاشها المجتمع آنذاك، حيث كانت أهداف التعليم لديهم دينية ودنيوية بصفة بحتة، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك إعداد الإنسان المسلم^{١٦}، وذلك مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)^{١٧}.

يتضح مما تقدم مدى أهمية التعليم عند الأيوبيين واستغلالهم قدرات المواطنين لتزويدهم بالثقافة الإسلامية، وإكسابهم نماذج ثقافية وأطر حضارية، وربطهم في مؤسسات تعليمية، والعمل على خلق روح التبعية الاجتماعية وفق القيم والاتجاهات والمعتقدات التي حددها المذهب السني.

ثانياً - الإنفاق على المؤسسات التعليمية وتمويلها في العصر

الأيوبي

لم يغفل مؤسسو المدارس في القاهرة في العصر الأيوبي عن وقف الأوقاف عليها، حتى تؤدي رسالتها على خير وجه^{١٨}. وفي ذلك يروي المقرئ أن "صلاح الدين لما دخل دمشق في السابع والعشرين ذي القعدة سنة ٥٧١هـ كان دخوله يوماً مشهوداً، فأحسن إلى الناس وخلع على الأعيان وتصدق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم، وسار به خمسة عشر يوماً إلى بعلبك فرتب أحوالها وأعطى أهل المدارس والربط عشرين ألف درهم....."^{١٩}.

يرى البعض^{٢٠} أنه على الرغم من كثرة عدد المدارس التي أنشئت في العصر الأيوبي، إلا أنه لم يعثر في المصادر والمراجع التاريخية ما يفيد بأن الدولة كان بها سياسة معينة لتمويل تلك المدارس، إلا أن حجج الوقف والحبوس التي حبست عليها كانت بمثابة الدستور الذي نظم الحياة بتلك

المؤسسات التعليمية، إذ لم يقتصر أثر الأوقاف على الموارد المالية فقط، بل شمل كذلك كافة الجوانب التعليمية والدينية والتنظيمية بها، **وسنوضح فيما يلي وسائل الإنفاق على المؤسسات التعليمية في العصر الأيوبي:**

١ - أهداف الأيوبيين من الوقف:

توافر للحركة العلمية في العصر الأيوبي عدة عوامل داخلية وخارجية ساعدت مجتمعه على ازدهارها، لعل من أهمها ما كان عليه كثير من سلاطين الأيوبيين وأمراءهم وأعيانهم من إقامة العديد من المنشآت الدينية والتعليمية، وحبس الأوقاف عليها، مما كان سبباً في الإكثار من طالب العلم ومعلمه بكثرة جريتهم منها^{٢١}، هذا بالإضافة إلى إجلال السلاطين والأمراء للعلم والعلماء، ومشاركتهم في تحصيله حيث كانت مجالس السلاطين والأمراء في الغالب حافلة بالعلم والعلماء باعثة على المشاركة والمناقشة في الأمور الدينية والثقافية^{٢٢}. ولعل الدارس لتاريخ السلاطين والأمراء الذين تعاقبوا على مصر من دولة بني أيوب يوشك ألا يصادف فيهم ملكاً قليل العناية بالعلم، أو فاتراً في تشجيع أهله تقريبهم إليه، بل أوشك أن يكون كل واحد من هؤلاء شاعراً أو فقيهاً أو محدثاً أو ذا تصانيف ونحو ذلك^{٢٣}.

ولذلك فقد هدف السلاطين الأيوبيون من وقف المدارس إلى عدة أهداف، هي:

١. **الهدف الاجتماعي:** مما لا شك فيه أن الجانب الاجتماعي الأظهر من الأوقاف زمن الأيوبيين كان يتمثل في المدارس والدور التي أنشئت خصيصاً للأيتام ويوفر لهم فيها المأكل والأدوات المدرسية، كما يتمثل دور الوقف في مجال الرعاية الاجتماعية في الأربطة، والخانقاوات، والزوايا، والتكايا، بالإضافة إلى الأسبلة التي يقصد بها توفير ماء الشرب للمسافرين وعابري السبيل وجموع الناس سواء داخل المدن أو خارجها^{٢٤}.

٢. **الهدف السياسي:** يرجع الهدف السياسي من وقف المدارس زمن الأيوبيين إلى القضاء على المذهب الشيعي الذي كان سائدًا في البلاد آنذاك، ودعوة الناس إلى اتباع المذهب السني وتوحيد أصحابه في جبهة واحدة، وذلك من خلال التعليم بالمدارس وإعداد جيل قوي متسلح بالعلم^{٢٥}.

٣. **الهدف العلمي:** حيث عرف سلاطين وأمراء بني أيوب بميلهم الفطري إلى العلم إذ اشتغل معظمهم وساهموا بفعالية في المجال العلمي، حتى إنه نبغ من بينهم أعلام في ميادين علمية شتى، هذا إلى جانب تعهدهم الحركة العلمية بمختلف جوانبها بعظيم عنايتهم ورعايتهم، فقد كانوا يحرصون على ملازمة العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء^{٢٦}.

ويلاحظ الباحث أن الأيوبيين اتخذوا التعليم وسيلة مساندة لإنتاج جيل متعلم متسلح بعقيدة قوية، تمكنه من فهم واقعه الذي يعيش فيه ولمقاومة التشيع الذي انتهجته الدولة الفاطمية مبدئًا لنظامها السياسي، ومن هناك كان وقف المدارس والتوسع في وقفها قد برز بشكل ملحوظ في العصر الأيوبي.

٢- الأوقاف ودورها في تمويل المؤسسات التعليمية:

تعتبر الأوقاف من أهم الموارد المالية التي استخدمت في تمويل المؤسسات التعليمية في القاهرة في العصر الأيوبي، حيث نجد أن السلطانين نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، قد أوقفوا الكثير من الأحباس على المدارس والربط والخانقاوات في القاهرة^{٢٧}.

ولقد ساهمت الأوقاف والإقطاعات بدور هام في استمرار المؤسسات التعليمية على أداء رسالتها ومهمتها التعليمية خلال العصر الأيوبي، حيث يذكر المقريزي عبارات عند ذكره للمدارس تدل دلالة واضحة على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس، أنها تعمل على تثبيت أركانها، وتكفل لها الاستقرار

والاستمرار وتجنبها الاندثار والزوال^{٢٨}. ومن هذه العبارات التي ذكرها المقرئزي عند حديثه عن المدرسة الناصرية في القاهرة (أنه لولا ما يتناوله الفقهاء من العلوم لخربت، فإن المزايل ملاصقة لها بعدما كان حولها أجمل موضع للدنيا) ويقول كذلك عند حديثه عن المدرسة القمحية في القاهرة (وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء فيها لاندثرت)^{٢٩}.

وإذا تتبعنا الأوقاف التي صبت على مدارس القاهرة في العصر الأيوبي، نجد أن كل مدرسة كان لها وقف معين وذلك للإنفاق عليها، فعلى سبيل المثال نجد أن المدرسة الناصرية في القاهرة التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي رتب لها بعض الأراضي والعقارات للإنفاق من ريعها على مصاريف المدرسة، ودفعت مرتبات المعلمين وتقديم الخدمات الطلابية، كما أوقف عليها صلاح الدين كذلك إحدى القرى والصاغة التي كان بجوارها^{٣٠}. أما المدرسة القمحية في القاهرة التي أنشأها أيضاً صلاح الدين، فقد أوقفت عليها قيسارية الوراقين وعلوها بمصر، وكذلك أوقف عليها ضيعة بالفيوم تعريف بالجنوبشية، ورتب فيها (٤) من المعلمين عند كل معلم (٢٠) من الطلبة، وكذلك نجد أن المدرسة السيوفية في القاهرة التي أوقفها صلاح الدين الأيوبي لتدريس الفقه الحنفي، فقد أوقف عليها سنة (٥٧٢هـ) اثنين وثلاثين حانوتاً بخط سويقة أمير الجيوش، وباب الفتوح، وحرارة برجوان^{٣١}.

كذلك قام الملك الصالح نجم الدين أيوب ببناء المدرسة الصالحية في القاهرة سنة (٦٣٩هـ) وكانت هذه المدرسة بخط بين القصرين، وقد أوقف الملك الصالح نجم الدين أيوب هذه المدرسة على طوائف الفقهاء الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة، وبذلك كانت المدرسة الصالحية أول مدرسة في القاهرة تشمل دروساً لأربعة مذاهب في مكان واحد^{٣٢}.

وهكذا يلاحظ الباحث كيف قام صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه من بعده بالاهتمام بالمدارس والعمل على تمويلها والإنفاق عليها. ولذلك فلا غرابة أن

نرى طائفة كبيرة من كبار رجال دولته اقتدوا به فأنشأوا المدارس من ثرواتهم الخاصة وأوقفوا عليها الأوقاف، ومن ذلك، قام القاضي الفاضل بإنشاء مدرسة أطلق عليها المدرسة الفاضلية، وذلك لتدريس المذهب المالكي والشافعي، بالدرب المعروف بدرب ملوخيا في القاهرة، وقد استفتح التدريس في بداية شهر محرم من عام ٥٨٠هـ، وقد أوقف القاضي الفاضل على مدرسته جملة عظيمة من الكتب في سائر أنواع العلوم، ويقال إنها مائة ألف مجلد^{٣٣}.

ولم يقتصر إنشاء المدارس والإنفاق عليها على الرجال من سلاطين وأمراء وكبار رجال الدولة الأيوبية، وإنما تعداه إلى الأميرات اللاتي شاركن في هذه النهضة العلمية التي اتسم بها العصر الأيوبي، حيث أنشأن المدارس تقريباً إلى الله تعالى، وأوقفن عليها الأوقاف الجزيلة للإنفاق عليها وعلى الأيتام من الطلبة. فعلى سبيل المثال المدرسة القطبية التي أنشأتها الأميرة عصمة الدين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل وأخت الملك الكامل، حيث أوصلت ببناء مدرسة يجعل فيها فقهاء وقراء، ويشترى لها وقف، وكانت هذه المدرسة مخصصة لتدريس الفقه على المذهب الشافعي والحنفي. ولعل ما قامت به هذه الأميرة يؤكد أنها لعبت دوراً كبيراً في العصر الأيوبي^{٣٤}.

وهكذا يستنتج الباحث أن السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة الأيوبية قد قاموا بإنشاء المدارس وتمويلها والإنفاق عليها، وبذلك فإنه ساهموا مساهمة فاعلة في الحياة العلمية والفكرية في القاهرة في العصر الأيوبي، ولذلك نجد أعداداً كبيرة من العلماء والفقهاء وطلبة العلم قد وفدوا إلى القاهرة في العصر الأيوبي، وذلك لما وجدوه من رعاية وعناية وحسن معاملة من قبل السلاطين الأيوبيين، حتى أصبحت القاهرة مقصداً لكل طالب علم وملجأً آمناً لكل ذي علم.

ولقد أدى اهتمام أمراء وسلاطين العصر الأيوبي بالعلم وطلابه إلى توفير العديد من الخدمات لهم، والتي يسرت لهم سبل العلم وطريق المعرفة منذ

المرحلة الأولى وحتى نهاية التعليم، ذلك أن اهتمام المجتمع المصري في ذلك العصر بالتعليم انطلاقاً من النظرة الشاملة بالتعليم لم يقتصر على تنظيم شؤونه من حيث اللوائح ومواد الدراسة والعلاقة بين المعلمين والطلاب والعلاقة بين الطلاب وبعضهم، بل امتداد اهتمامهم ليشمل النواحي الصحية والاجتماعية للطلاب، فضلاً عن الاهتمام بالناحية النفسية لهم وإسداء النصائح التي تكفل لهم حسن الرعاية والتربية^{٣٥}.

يتضح مما تقدم أن الأوقاف كانت بمثابة العمود الفقري لنظام التعليم في العصر الأيوبي، وبدون الريع الثابت الذي تدره الأوقاف لا يمكن لأي مدرسة أن تمارس وظائفها أو تحقق أهدافها.

ثالثاً - عناصر العملية التعليمية في العصر الأيوبي:

قام مشروع صلاح الدين الأيوبي على خطين متوازيين، الجانب العسكري منه كان لمجابهة القوى الصليبية في الشام، والجانب التعليمي والثقافي منه تمثل في نشر المذهب السني من خلال الاهتمام بالتعليم وإنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية، حيث يتضح مما أورده المقرئزي تأثر الأيوبيين بالسلاجقة في الإقبال على تشييد المدارس لنشر المذهب السني، ويبدو أن انتشار المذاهب النظامية أواخر القرن الخامس الهجري كان قد بدأ يأتي بثماره مع منتصف القرن السادس الهجري، الأمر الذي استثمره العادل نور الدين محمود والناصر صلاح الدين الأيوبي^{٣٦}.

وقد أسهمت المؤسسات التعليمية في العصر الأيوبي بشكل واضح وملحوظ في إحياء علوم أهل السنة من خلال ما وفرت من تهيئة الجو المناسب للمدرسين والطلبة على حد سواء بقصد الوصول إلى ذلك الغرض، وزاد الاهتمام بالعلوم المختلفة كالعلوم الطبيعية والعقلية وعلوم اللغة والبيان، حيث برز في العصر الأيوبي عدد من الشخصيات العلمية والفكرية، مثل

===== الباحث/ خليفة سعيد على المزروعى، أ.د. مأمون صالح عبد الكريم

القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦هـ رئيس ديوان الإنشاء وصاحب القلم البديع في الكتابة، والعماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ، صاحب المؤلفات المعروفة في الأدب والتاريخ^{٣٧}.

حيث نشط التعليم في زمن الأيوبيين، وأقبل الناس على تلقي العلم صغارًا في المدارس، وكبارًا في المساجد والخوانق والربط والزوايا، وكانت العملية التعليمية تتكون من (٣) عناصر رئيسية، هي: (المدرس والطالب والمنهج التعليمي). حيث حظي المدرسين بمكانة مرموقة في العصر الأيوبي، ذلك أنهم كانوا مصدر العلم والمعرفة، وكانوا يتمتعون بالقدرة على التوجيه، وما يملكونه من ثقافة وعلوم^{٣٨}.

أما المناهج التعليمية فكان القرآن الكريم والسنة النبوية محورها، أما دراسة العلوم الطبيعية والإنسانية والعقلية فكانت لتوضيح وتعزيز العلوم الدينية لدى الطلاب.

وفيما يلي نستعرض عناصر العملية التعليمية في العصر الأيوبي:

أ- المعلمون ومراتبهم وتخصصاتهم:

اهتم الأيوبيون بالمعلم، وأولوه مكانة ملؤها التقدير والاحترام، وليس أدل على ذلك من أن معظم السلاطين كانوا يسامرون العلماء كلما سنحت الفرصة لهم.

كان المشتغلون بالتدريس يتمتعون بمكانة عالية في المجتمع، وكانوا ينقسمون إلى فئتين، هما:

١. المدرس: هو الاسم الذي يطلق على من يقوم بإلقاء الدرس، كأن يقوم بتدريس أحد المواضيع، كالفقه والتفسير أو النحو أو غير ذلك، وكان المدرس في المدارس المشهورة يعين بمرسوم سلطاني، حيث فوض صلاح الدين إلى شيخ الإسلام يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي

(ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م) التدريس في المدرسة الصلاحية، كما فوض أمر التدريس في المدرسة السيوفية للشيخ محمد الدين محمد بن الجبتي، ولم يكن بالمدرسة أول الأمر إلا مدرس واحد ثم صار يعين عدد من المدرسين في المدارس الكبيرة، ففي المدرسة القمحية عين أربعة مدرسين، وكان بعض المدرسين يتولون التدريس في مدرستين أو في المدرسة والجامع، كما كان بعض المدرسين يتولون مناصب أخرى كالخطابة والقضاء بالإضافة إلى التدريس^{٣٩}.

٢. **المعيد:** يلي المدرس مرتبة، وكان يحضر درس الشيخ أو المدرس، فيجلس إلى جانبه حتى إذا انتهى المدرس وانصرف من الحلقة، ترك المعيد يشرح النقاط الصعبة أو ليعيد الدرس الذي ألقاه المدرس لتوضيح ما لم يتضح، حتى يرسخ في أذهان الطلاب. وكان المعيد لا يبخل بوقته في سبيل إفهام العاجزين بسعة صدر وبنقاشهم ويختبر مقدار فهمهم، كما كان المعيد يعاون الطلاب في إعادة ما حفظوه ويراجعهم بالمذكرات. كما كان يشترط أن يكون المعيد من صلحاء القوم الفضلاء، صبورًا على أخلاق الطلاب وحريصًا على فائدتهم^{٤٠}. وكان للمدرس معيد أو أكثر تبعًا لعدد الطلبة وكثرتهم في كل مدرسة، فقد كان في المدرسة الناصرية في القاهرة عدد (٢) معيدين إلى جانب مدرستها وناظر وقفها، وكان في المدرسة الصلاحية في القاهرة أربعة مدرسين، وتم تعيين لكل منهم معيدين يساعدهم^{٤١}.

وأطلق على المشتغلين بالتدريس ألقاب تشريف وتقدير لا علاقة لها بالدرجات العلمية، منها: الشيخ والإمام والفقير والأستاذ. ولم يكن هناك أسس علمية متفق عليها لحيازة هذه الألقاب، مع أنها كانت دليلاً على المكانة العلمية التي تلقب بها صاحبها، وأقر له زملاؤه بها. وفيما يلي توضيح ذلك^{٤٢}:

١. **الشيخ:** كان يطلق على العالم الذي بلغ أعلى المراتب العلمية، فيقال

شيخ المحدثين، وشيخ النحاة، وشيخ المدرسة، وكانت رتبة الشيخ مرموقة لا يجلس بها إلا كبار العلماء.

٢. الإمام: هو أسمى ألقاب العلم عامة، ويدل على تمكن صاحبه من علمه، بحيث يصبح قدوة يحتذى به، أو إمامًا في هذا العلم، فيقال أئمة في الحديث أو الحساب، وكان الشاطبي يكنى الإمام أبو محمد الشاطبي، وكان عبد الله بن بري النحوي المصري إمامًا في النحو.

٣. الأستاذ: هو لقب خاص بالمعلم يطلق على فئة استطاعت أن تنجح في مهمتها التدريسية، في حين أن لقب الإمام والشيخ أطلقا على العلماء، سواء عملوا في التعليم أم لم يعملوا.

٤. المعلم: كان أقل الرتب العلمية، إذ كثيرًا ما قرن بتعليم الأولاد في الكتاتيب.

٥. المؤدب: كان يعمل في تعليم أولاد الخاصة من خلفاء وأمراء وقادة، والمؤدبون لا يعلنون إلى مرتبة الشيوخ والأئمة في البحث والإبداع، وإنما يكتفون من العلم بما يساعدهم على القيام بمهمتهم، خاصة وأنه يطلب منهم التأديب والتعليم بأكثر من مادة.

وقد حرص الأيوبيون على استقطاب العلماء المشهورين ووفروا لهم كل سبل المعيشة الكريمة، وتزود المعلمون بثقافة عامة تتناول علوم العصر وألوان العلوم والثقافة الموسوعية، وكان القرآن الكريم محور ثقافة جميع المعلمين وأساس تخصصاتهم، فقد كان هدف دراسة اللغة من نحو وبلاغة وأدب، والحديث والفقه والفلك والحساب هو خدمة ما في القرآن من عبادات تحتاج إلى معرفة الأوقات، ومن قسمة للإرث تحتاج إلى معرفة بالحساب^٤. وهكذا يتضح للباحث أن المعلمين كانوا حريصين على أن يزودوا أنفسهم بثقافة واسعة تمكنهم من تلبية حاجات المجتمع الأساسية العلمية ولا سيما الدينية، واختص كثير من

المعلمين بمواضيع مختلفة كالفقه والحديث وتدرّيس القراءات.

تمتع المعلمون في المدارس والمساجد بثقافة واسعة وتعمق في تخصصاتهم، حيث نجد أن أبو عمرو عثمان بن عبد الرحيم المعروف بابن الصلاح والملقب بتقي الدين (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٦م) بفاضل عصره في التفسير والفقه، وقد اختص الإمام الشاطبي بالقراءات، وشيخ الإسلام محمد الدين ظاهر في الفقه والحساب والفرائض، وكان موفق الدين بن المطران مختصاً في الطب، أما ابن الحسين بن عبد الله الشيخ أبو البقاء (ت ٦١٥هـ / ١٢١٨م) فكان نحويّاً وهو صاحب إعراب القرآن، وكتاب اللباب في النحو، وله مفصل الزمخشري وديوان المتنبي، وكان إماماً في الفقه^{٤٤}.

كانت مسؤولية المعلمين في العصر الأيوبي كبيرة، فكان عليهم تربية الناشئة من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية، وقد اتخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلهم الأعلى، فكانت مهمة المعلم تعليم الأولاد وتقويم سلوكهم، وتعويدهم الاعتماد على النفس، بالإضافة إلى خدمة المجتمع، وحث الناس على الجهاد والإفتاء، ولكن مهمتهم الأساسية كانت التربية والتعليم^{٤٥}.

وكان على المعلم أن يحسن إلقاء الدرس وتفهيمه للطلاب، وكان يعتمد على استخدام قدرة الطلاب العقلية، فإن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدرّبهم عليها، وقد اتبع المعلمون بعض القواعد العامة في التدريس، ومنها^{٤٦}:

١. ملاطفة الطلاب والحنو عليهم وكأنهم أولادهم.
٢. تشويق الطلاب للدرس وعدم إطالة الدرس حتى لا يمل الطالب.
٣. عدم تقصير الدرس حتى لا يفقد ترابطه.
٤. عدم تجاوز صوت المعلم مجلسه.

٥. حرص المعلم أن لا يدرس وقت جوع الطلاب أو عطشه.

٦. اعتمد المعلم طريقة التكرار لتحفيز الطلاب.

ويرى البعض أن المعلمين في العصر الأيوبي كان يتبعون نمط حفظ الدرس بعد فهمه، وذلك لقلّة الكتب وصعوبة استنساخ المؤلفات الكبيرة التي تحتاج إلى المزيد من الورق، كما كانت بعض العلوم كاللغة والأدب تتطلب الحفظ للاستشهاد بما يحفظ من قرآن أو حديث أو شعر^{٤٧}.

وقد استخدم المعلمون في تدريسهم عدة طرق، كما كانوا يعلمون الطلاب كتابة البحوث، ولكن الطرق الشائعة في التدريس كانت على النحو التالي^{٤٨}:

١. **التلقين:** كان المدرس يلقي درسه على الطلاب، فكان هو يتحدث والطلاب يصغون لما يقول، ويحفظون ما يسمعون بالتكرار أحياناً، وكثيراً ما كان المعلم يملي على طلابه.

٢. **المحاضرة:** كان المدرس في المراحل المتقدمة يحاضر في الطلاب، ويترك للمعيد توضيح ما لم يتضح، وكان يتم ذلك في المدارس الكبيرة، كالمدرسة الصلاحية في القاهرة.

٣. **الإملاء:** كان المدرس يفتح مجلسه بالتسمية ثم يبدأ إملاءه، مراعيًا مستوى السامعين من الطلاب، وكلما أملى شيئاً علق عليه، وأبرز قيمته، وبين ما فيه من المعاني الدقيقة التي يصعب فهمها، فإذا ختم مجلسه استغفر الله.

٤. **المناظرة:** كانت أداة تعليم يمارسها كبار العلماء، لذلك كان على المدرس أن يدرّب الطلاب على المناظرة والمناقشة، وكانت تتم بين الطلاب أنفسهم، أو بين المدرس والطالب، وكان الطالب يخالف أستاذه في الرأي أحياناً بطريقة ملؤها الأدب والاحترام، ويشترط للمناظر أن يتحلّى بدقّة الحس وقوة الملاحظة، وإجادة اللغة والاستنتاج.

يتضح مما تقدم أن المعلمين في العصر الأيوبي كانت مهمتهم الأساسية هي التربية والتعليم، فكان عليهم تربية الناشئة من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية، وتقويم سلوكهم، وتعويدهم الاعتماد على النفس، كما كان المعلم يعتمد على استخدام قدرة الطلاب العقلية أثناء تعليمهم، حيث اعتمدوا على طريقة التكرار لتحفيز الطلاب. كما اعتمد المعلمون على عدة طرق أثناء تدريس المناهج، ومنها: التلقين، والمحاضرة، والإملاء، والمناظرة.

ب- الطلاب:

لقي طلاب العلم الرعاية التامة في العصر الأيوبي، لذلك شجع أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) أهل المغرب التوجه إلى المشرق في طلب العلم، حيث يجد الأمور المعينات الكثيرة، وأولها فراغ المنال من أمر المعيشة، فكان التلميذ بمصر يلقى مسكنًا يأوي إليه، ومدرسًا يعلمه، حيث وفد الطلاب على القاهرة لتلقي العلوم، كما وفد طلاب الأندلس طلبًا للعلم، وقد ذكر "السخاوي" أن صلاح الدين الأيوبي خصص لكل طالب غريب مسكنًا يأوي إليه ومدرسًا يعلمه، وراتبًا شهريًا يسد به جميع حاجاته، كما نصب لهم مستشفى قريبًا للمعالجة لمن مرض منهم^{٤٩}.

لقد توفرت الفرص أمام الجميع للالتحاق بالمدارس، فاستطاع الفقراء نتيجة عناية المجتمع الأيوبي بالتعليم أن يشقوا طريقهم إلى المجد العلمي، وأن يتزودوا بالمعرفة في مختلف العلوم^{٥٠}.

لم تكن هناك سن محددة لطلب العلم، إذ كان من واجب كل مسلم أن يطلب العلم في أي فترة من فترات عمره، حتى ولو كان شيخًا تقدمت به السن، وكان على كل فرد أن يقرأ القرآن لأداء الشعائر الدينية، بالإضافة على سماع الحديث وفهمه^{٥١}.

ألحق الآباء أطفالهم في المدارس والكتاتيب في سن مبكرة، بل كانوا يتنافسون في الجلوس المبكر أمام المدرسين للاستماع، حيث ذكر ابن خلكان أن الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع، وأفتى وهو ابن ١٥ سنة، ولم تكن هناك سن ثابتة لإرسال الأطفال على الكتاتيب، ولم تفرض الدولة تعليم الأبناء، بل اعتبر التعليم فرضاً من الفروض الدينية، ففتحت المدارس وتوفرت الفرص الكافية لمعظم الأولاد للتعلم، فأقبلوا على الدراسة في السن التي يحددها الشرع لتعليم الطفل الصلاة والفضائل الخلقية. وكان الطلاب يلتحقون بالمدارس بعد إنهاء دراستهم في الكُتاب والكتاتيب، أي إن معظم الطلاب كانوا يدخلون المدارس في سن الحادية عشرة، ويستمررون في دراستهم لعشر سنوات^{٥٢}.

تباين عدد الطلاب في المدارس في العصر الأيوبي من مدرسة إلى أخرى، فكان يختلف عددهم في حلقة المسجد عنه في المدرسة تبعاً لشهرة المعلم وتفقهه بالمادة الدراسية، ففي المسجد لم يكن العدد محدداً، أما في المدرسة فقد جرت العادة أن يعين مؤسس المدرسة عدد من المدرسين، ويحدد عدد الطلاب الذين يسمح لهم الالتحاق بها، ففي المدرسة القمحية بالقاهرة قرر الواقف أربعة مدرسين ومعيدين، وجعل كل مدرس يقوم بتعليم عشرين طالباً^{٥٣}.

انتشرت العقوبات البدنية في الكتاتيب في العصر الأيوبي، وأصبحت عصا المعلم شيئاً لا يخلو منه أي كُتّاب، وقد ذكر المقريزي في كتاب الخط أن العقوبات البدنية كانت تستخدم إذا تباطأ الطالب في الإقبال على العلم والحفظ، وإذا أخطأ كثيراً^{٥٤}. كما يذكر المقريزي أن الظاهر أمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام ومختصر الوزير، وجعل لمن حفظ ذلك مائلاً، وكان الملك المعظم يحفظ المفصل للزمخشري، وجعل لمن يحفظ الجامع الكبير مائتي دينار، ولمن يحفظ المفصل للزمخشري ثلاثين ديناراً، وهكذا كان المعلم يكافئ من يستحق بمدحه أو يكافئه^{٥٥}.

يتضح مما تقدم أنه في العصر الأيوبي تحقق مبدأ تكافؤ الفرص

التعليمية أمام الجميع للالتحاق بالمدارس، حيث استطاع الفقراء الالتحاق بالمدارس وأن يتزودوا بالمعرفة في مختلف العلوم، كما لم تكن هناك سن محددة لطلب العلم، وتباين عدد الطلاب في المدارس من مدرسة إلى أخرى، فكان يختلف عددهم في حلقة المسجد عنه في المدرسة تبعاً لشهرة المعلم وتفقهه بالمادة الدراسية، بالإضافة إلى ذلك فقد انتشرت العقوبات البدنية في الكتاتيب في العصر الأيوبي من قبل المعلمين لتقع من الطالب موقع الأدب، حيث كان يستخدم العقاب في حال تباطأ الطالب في الإقبال على العلم والحفظ.

ج- المناهج التعليمية:

كانت المناهج تختلف باختلاف المؤسسات التعليمية في العصر الأيوبي، فما كان يُعلم في الكتاتيب غير ما كان يعلم في المسجد أو في المدرسة، وما يُعطى في المنزل يغير ما يدرس في الربط والزوايا والخوانق، إلا أن تعليمات محتسب الدولة الأيوبية أوجدت تنظيمًا معينًا للمناهج التعليمية، بحيث يبدأ بتعليم الحروف وضبطها وشكلها، ثم تعلم سور القرآن الكريم القصار، ثم دراسة عقائد السنة النبوية، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من الرسائل والأشعار^{٥٦}.

وكان المناهج التعليمي في المؤسسات التعليمية في العصر الأيوبي بناءً متكاملًا، تتكامل فيه العلوم الدينية والدنيوية، لكي يتزود المتعلم بثقافة عامة تمدّه بتكامل معرفي^{٥٧}.

حيث كانت المناهج التعليمية في العصر الأيوبي تقسم إلى قسمين، هما:

- العلوم الإجبارية: كان القرآن الكريم هو أول العلوم التي ينبغي أن يدرسها المتعلمون، لأن القرآن كلام الله، وقد حث الله العباد على تلاوته، وبذلك فرض الفقهاء تعليم القرآن، لأنه مرجع المسلمين في معرفة العبادات والمعاملات،

وتستلزم المعرفة الصحيحة للقرآن الكتابة والعلم بالنحو وفهم المعاني^{٥٨}. وقد حث الفقهاء في العصر الأيوبي على تعلم القرآن الكريم، ومعرفة القراءة الصحيحة واللفظ السليم له، وفهم الآيات والسور، وركز المعلمون في تدريسهم على علم قراءة القرآن وتلاوته^{٥٩}. وهكذا يلاحظ الباحث أن المنهج التعليمي الإجمالي في العصر الأيوبي ركز على تعليم القرآن الكريم والصلاة والدعاء والكتابة والنحو، وكلها ترمي إلى غاية واحدة هي معرفة الدين الإسلامي والعبادات، مما هو مفروض على المسلمين، وبالتالي بناء الشخصية المسلمة فكرياً وممارسة.

- **المنهج الاختياري:** كان يشمل هذا المنهج الحساب والشعر والتاريخ والنحو، وهو يختلف عن المنهج الإجمالي في تركيزه على الصفة الدينية، والغرض المنشود من هذه العلوم، والمطالب الاجتماعية، ونوع الأعداد المطلوبة، كالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما لا يستغني عنه أي مجتمع، كما أن دراسة التاريخ كان يقصد أن تكون محرّكاً لهمم الأطفال نحو أعمال البطولة، وبعثاً على أفعال الخير، والقُدوة الحسنة، وقصص القرآن ترمي إلى غاية دينية وخلفية حسنة^{٦٠}.

وقد اهتم العلماء بشرح الكتب السابقة واختصارها، أو إعرابها أو معرفة ما اتفق فيه مؤلفوها، والاشتغال بالحديث رواية ودراسة من حيث السند والإسناد، اتصالاً وانقطاعاً، كما اهتم الأيوبيون بفتح دور متخصصة لتدريس الحديث، مثل دار الحديث الكاملية في القاهرة. كما نال علم البيان والمعاني عناية المدرسين من خلال تدريس كتب التفسير والحديث لإبراز إعجاز القرآن الكريم، كما اهتم المدرسون في العصر الأيوبي بتدريس الأدب وركزوا على دواوين الشعراء السابقين والقصائد المفردة والخطب والمقامات، ومن ذلك: ديوان المتنبي ودواوين الحماسة ومقامات الحريري وغير ذلك^{٦١}.

كما أوصى العلماء في العصر الأيوبي بتدريس الحساب لما هو

ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث، كما أنه يفيد في معرفة أوقات الصلاة والفرائض والصيام. كما تقدم الطب في العصر الأيوبي وتحسنت وسائل دراسته، وكثر عدد الأطباء آنذاك وتنوعت اختصاصاتهم^{٦٢}.

يتضح للباحث من خلال دراسة وتحليل عناصر العملية التعليمية الرئيسية في العصر الأيوبي (المعلم والطالب والمناهج التعليمية) أن المعلم هو محور العملية التعليمية، إذ كانت شخصيته مستمدة من شخصيته الدينية، وكانت مؤهلات المعلم تستند إلى قاعدة ثقافية تشمل علوم العصر، بالإضافة إلى تخصصه في أحد العلوم كالفقه أو الحديث أو الأدب أو الطب، وكان المعلم أبًا رحيماً، ولكنه كان يعاقب الطالب المهمل ويثيب الطالب المجتهد. كما يتضح للباحث أن الطلاب كانوا أحراراً في اختيار المدرسة التي يدرسون بها، والأخذ عن المعلم الذي يريدونه، وكان أعداد الطلبة محدوداً، إذ كان يقارب العشرين طالباً لكل مدرس، أما المناهج التعليمية فكانت تركز على العلوم الدينية كالقرآن الكريم والحديث الشريف، وعلوم اللغة العربية، بالإضافة إلى الحساب والتاريخ والنحو والطب.

رابعاً - العلوم الدينية والإنسانية والعقلية في العصر الأيوبي:

حظيت العلوم الدينية والإنسانية والعقلية بمزيد من الاهتمام في العصر الأيوبي، لما وجدته العلماء والفقهاء من تشجيع السلاطين والأمراء لإحياء علوم الدين والتي شملت القرآن الكريم والحديث والفقه، بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والمنطق. وسيتم توضيح ذلك كالتالي:

١ - القرآن الكريم:

صنف محمد بن ظفر الحمودي المتوفي سنة (٥٦٥هـ / ١١٦٩م) ينبوع الحياة في تفسير القرآن الكريم، والتفسير الكبير. وصنف فخر الدين أبو عبد الله الرازي المتوفي سنة (٦٠٦هـ / ١٢١٠م) مفاتيح الغيب وغريب القرآن، ودره

التنزيل، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. كما صنف محمد الدين بن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦هـ - ٦١٠م) كتاب الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن العظيم، وقد أخذه عن الثعالبي والزمخشري. وألف محمد بن أحمد بن بكر القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ / ١٢٧٣م) الجامع لأحكام القرآن، ويعد هذا التفسير من التفاسير الجليلة، إذ أثبت فيه أحكام القرآن الكريم وذكر فيه القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ. ووضع أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) كتاب فنون الأفتان في علوم القرآن^{٦٣}.

كما اعتنى المسلمون في العصر الأيوبي بعلم القراءات، حيث نالت قصائد الشاطبي بالتقليد والشرح عناية من قبل المعلمين في المدارس وحثوا الطلاب على حفظها ومعرفتها، وحث الفقهاء على تعلم القرآن ومعرفة القراءة الصحيحة واللفظ السليم له، وفهم الآيات والسور، وركز المعلمون في تدريسهم على تلاوة القرآن، وكان يدرس كتاب في القراءات السبع للحسين بن عثمان بن ثابت المتوفى سنة (٣٧٨هـ / ٩٨٩م) وكتاب التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمر عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ / ١٠٥٣م) وكتاب إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى في القراءات العشر للشيخ عز الدين محمد بن الحسين بن بندار الواسطي، وكتاب الكنز في القراءات العشر للإمام نجم الدين عبد الله بن الواحد الواسطي المتوفى سنة (٥٢١هـ / ١٢٧م). وكان المعلمون يحاولون تيسير حفظ القراءات، وتسهيل الكتب السابقة فيشرحونها، أو يعيدون تنظيمها، وذلك لغايات تعليمية، حيث اشتهر عدد من المعلمين في العصر الأيوبي في تدريس القراءات، منهم: تاج الدين أبو الفتح عثمان بن عيسى منصور (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) وكان مدرساً للقراءات في جامع القسطنطينية في القاهرة^{٦٤}.

٢ - الحديث الشريف:

ذكر المحدثون في العصر الأيوبي، ومنهم الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي المتوفي سنة (٥٧١هـ / ١١٧٦م) أنه حضر مجلس صلاح الدين لما تملك دمشق، فرأى فيه من اللغظ وسوء الأدب من الجلوس ما لأحد عليه، فشرع يحدث صلاح الدين، فلم يتمكن من القول لكثرة المتحدثين، وقلة استماعهم، فقام وبقي مدة يمتنع فيها عن حضور المجلس الصلاحي، وتكرر السلطان في طلبه، فحضر، وقال لصلاح الدين "زهت عن مجلسك، كنا بالأمس نحضر مجلس نور الدين، تعلونا الهيبة والوقار، فإذا تكلم أنصتنا وإذا تكلمنا استمع لنا"^{٦٥}.

وقد اهتم العلماء في العصر الأيوبي بجمع مختارات في الحديث، خاصة الأربعينات^{٦٦}، وقد صنفوا في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، واختلفت مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها، فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث التوحيد وإثبات الصفات، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات، ومنهم من اختار حديث المواعظ والرقائق، ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده، ومن من قصد ما علا إسناده، وسمى كل واحد منهم كتابة بكتاب الأربعين^{٦٧}.

٣ - الفقه:

أسهم علماء العصر الأيوبي بنصيب في تأليف كتب الفقه على المذاهب الأربعة (الشافعي، والحنفي، والحنبلي، والمالكي) واختصت كل جماعة منهم بالتأليف في أحد هذه المذاهب، كما ساروا شوطاً في شرح الأصول والمتون القديمة وفروعها، ثم وقفوا عند الشروح نفسها فوضعوها، وذيلوها بما فات الشراح من مسائل وتعليقات اقتضاها كل مذهب. وكان الحكام يعتمدون على ما يصدرونه من أحكام، ولم تقف جهودهم عند حد التأليف في الفقه، بل

وضعوا كتباً في الفرائض والصلاة والصوم^{٦٨}.

وقد اشتهر في الفقه الشافعي قطب الدين النيسابوري المتوفي سنة (٦٨٧هـ / ١١٨٢م) فصنف عقيدة الشافعية لصالح الدين ليقرأها أولاده الصغار، وقام الإمام يونس بن بدران بن فيروز المتوفي سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) باختصار كتاب الأم للشافعي، أما الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء فوضع قواعد الإسلام والقواعد الصغرى والفتاوى^{٦٩}.

يتضح مما تقدم أن العلوم الدينية حظيت بمزيد من الاهتمام في العصر الأيوبي، لما وجده العلماء والفقهاء من تشجيع السلاطين والأمراء لإحياء علوم الدين والتي شملت القرآن والحديث والفقه، وكان المنهاج التعليمي بناءً متكاملًا، تتكامل فيه العلوم الدينية والدنيوية، لكي يتزود المتعلمون بثقافة عامة تدمجهم بتكامل معرفي، وركز المعلمون في تدريسهم على علم قراءة القرآن وتلاوته.

٤ - التاريخ والجغرافيا:

شهد العصر الأيوبي نشاطاً في تأليف ووضع عدد من الكتب في التاريخ والجغرافيا، فكان نضوج علم الحديث والتطورات السياسية المعاصرة، والأحداث الحربية المتواصلة، عوامل هامة في تطور علم التاريخ والجغرافيا والفلك. وفيما يلي فكرة عن مدى تطور كل منهما:

١. التاريخ: ظفرت المكتبة العربية في العصر الأيوبي بإنتاج كتب التاريخ المتنوعة، حيث كثر المؤرخين الذين عنوا بكتابة التاريخ، وقد اشتهر منهم أبو شامة المقدسي، والذي ذكر في مقدمة الروضتين المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه، ومن جملتها بعض ما سمعه من أفراد الرجال الثقات، ومن المدركين لتلك الأوقات، وقد حاول أبو شامة أن يبسط بعض الكتب التاريخية بالتطور في إيراد الأخبار^{٧٠}. ويمكن تحديد البحث التاريخي في

تلك الفترة، فمن المؤرخين من انصرف إلى بحث التاريخ العام، والذي يتناول تاريخ الأمم عبر العصور المختلفة، حيث كانوا يؤرخون الأحداث بحسب توالي السنوات، حيث نهج عز الدين بن الأثير المتوفي سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م) هذا الأسلوب في كتابة الكامل في التاريخ، وقد تميز الكتاب بدقة التفاصيل والاعتماد على المشاهدات الشخصية وروايات المعاصرين للأحداث. ومنهم من انصرف إلى التاريخ الخاص، حيث أقبل بعض المؤرخين على كتابة تاريخ بعض الأقطار على وجه الخصوص، ومنهم شهاب الدين أبو شامة المتوفي سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) الذي عاصر الدولة الأيوبية، وعهد زوالها، فصنف كتابًا عن الدولة النورية والأيوبية أسماه كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، وهو من المصادر التاريخية الهامة التي ذكرت سياسة الأيوبيين وعلاقتهم مع الصليبيين والعباسيين والحركة الباطنية، وقد استقى معظم معلوماته من ابن الأثير والمصادر المعاصرة آنذاك، كالقاضي الفاضل والأصفهاني^{٧١}. كما شهد قاضي القضاة جمال الدين بن واصل (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) زوال الدولة الأيوبية في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وابنه توران شاه، وكأنما أحزنه مصير الدولة الأيوبية، ووضع كتابه المشهور "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" والذي شمل معلومات تاريخية عن صلاح الدين والدولة الأيوبية، وعلاقة الأيوبيين مع العباسيين. كما تحدث بعض المؤرخين عن مدينة من المدن، حيث نالت القاهرة حظًا من عناية المؤرخين، ومن هؤلاء جعفر بن محمد الإدريسي المتوفي سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وصنف صالح الأرمني تاريخ الأرمن بالقاهرة^{٧٢}. ومنهم من اتجه إلى جمع التراجم وتأريخها وتصنيف الطبقات على اختلافها، حيث اتجه هؤلاء المؤرخون إلى كتابة حياة الصحابة ورواة الحديث وأعيان البلاد، ومنهم ابن أبي علي المتوفي سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) كتابه "طبقات العلماء"، وصنف ابن خلكان المتوفي سنة (٦٨١هـ/

١٢٨١م) كتابه المشهور "وفيات الأعيان"، وهو شامل لتراجم الأعيان في العلم والأدب والسياسة والقضاء. ومنهم من اتجه إلى كتابة ترجمة حياته أو مذكراته الخاصة^{٧٣}.

٢. **الجغرافيا والفلك:** نشط علم الجغرافيا والفلك في رعاية سلاطين بني أيوب، فاشتهر محمد بن المجلي الصانع في التنجيم، وعلوي الدميري وكان يعمل التقاويم في مصر^{٧٤}.

يتضح مما تقدم كثرة المؤرخين الذين عنوا بكتابة التاريخ في العصر الأيوبي، فمن المؤرخين من انصرف إلى بحث التاريخ العام الذي يتناول تاريخ الأمم عبر العصور المختلفة، ومنهم من انصرف إلى التاريخ الخاص الذي يتناول تاريخ بعض الأقطار على وجه الخصوص، ومنهم من اتجه إلى جمع التراجم وتاريخها وتصنيف الطبقات على اختلافها، حيث اتجه هؤلاء المؤرخون إلى كتابة حياة الصحابة ورواة الحديث وأعيان البلاد، ومنهم من اتجه إلى كتابة ترجمة حياته.

٥ - الفلسفة والمنطق:

عزف بعض العلماء في العصر الأيوبي عن الاشتغال بعلم الفلسفة والمنطق؛ لأنها لقيت مقاومة من رجال الدين وإعراضاً من معظم سلاطين بني أيوب، فكانت قصة الفيلسوف المعروف شهاب الدين السهروردي المتوفي عام (٥٨٧هـ / ١١٩٩م) كارثة على تطور هذا العلم، وقد اختار لنفسه الموت جوعاً في سجنه، حيث مزج السهروردي فكره الصوفي بشيء من فلسفة أرسطو، وبشيء من المذهب الإسكندراني القائمة على آراء أفلاطون، وصنف عدداً من الكتب منها "هياكل النور وحكمة الإشراف لكشف الغطاء"، و"التلويحات اللوحية والعرشية"^{٧٥}.

لقد أمر الملك الصالح صاحب بعلبك ودمشق بقتل قاضي القضاة رفيع

الدين الجيلي، لما عرف عنه، إذ كان فاسد العقيدة دهرياً مستهزئاً بأمر الشريعة، وكان متميزاً في الحكمة والطبيعة. وقد عزلت أمثال هذه الأحداث الفلسفية عن حلقاتهم العلمية، فعاشوا منعزلين خوفاً من الاضطهاد، إلا أن الملك المعظم عيسى وابنه داوود، مالا إلى الفلسفة وشجعا على دراستها، فأقبل بعض العلماء على دراستها، بالرغم مما كانوا يلاقونه من عنت بعض رجال الدين، حيث اشتهر نجم الدين القمراوي، وشرف الدين المناني، اللذان ذهبا سراً إلى الموصل لدراسة الفلسفة على يد الكمال موسى بن يونس. واشتهر أفضل الدين الخونجي المتوفي سنة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) في وضع عدد من الكتب منها: كشف الأسرار من غوامض الأفكار، وكتاب الجمال، وكان عزل الدين الحسن بن محمد بن أحمد الأربلي المتوفي سنة (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) بارعاً في الفلسفة مهماً للفرائض حسن المناظرة والجدال^{٧٦}.

يتضح مما تقدم عزوف بعض العلماء في العصر الأيوبي عن الاشتغال بعلم الفلسفة والمنطق، لأنها لقيت مقاومة من رجال الدين وإعراضاً من معظم سلاطين وأمراء الدولة الأيوبية، ولذلك عاش هؤلاء العلماء منعزلين خوفاً من الاضطهاد.

٦ - العلوم العقلية:

أوصى علماء العصر الأيوبي بتدريس الحساب لما هو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث، وكذلك التعمق في حقائق الطب والصيدلية.

صدرت بعض المصنفات في الحساب في العصر الأيوبي، حيث ألف علي بن خليفة المتوفي سنة (٦٤٩هـ / ١٢٥١م) للملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه، صاحب بعلبك، كتاب "الموجز المفيد في علم الحساب" في أربع مقالات، كما وضع كتاباً في المساحة، وألف نجم الدين اللبودي المتوفي سنة

=====الباحث/ خليفة سعيد على المزروعى، أ.د. مأمون صالح عبد الكريم

(١٢٣٤هـ/١٢٣٤م) كتابًا في الحساب اسمه "كافية الحساب في علم الحساب"، وكتابًا في الجبر بعنوان "الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة"، وكان شيخ الإسلام مجد الدين بن نصر بن جهبل المتوفي سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) إمامًا في الحساب والفرائض^{٧٧}.

وبرع إبراهيم بن غنائم المهندس المصري بالهندسة، وساهم في بناء المدرسة الظاهرية في دمشق، وكان يعرف مؤيد الدين أبو الفضل محمد ابن عبد الكريم بن الحارثي المتوفي سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٣م) بالمهندس، لجودة معرفته بالهندسة^{٧٨}.

ارتفع شأن الطب في العصر الأيوبي، وتقدمت وسائل دراسته، ونذرت المكتبات بما ألفه كثير من الأطباء، وقد نال الطب تقديرًا عظيمًا لاستمرار الحرب، وحاجة الشعب لخدماته، وتعددت "البيمارستانات" في الدولة الأيوبية، ولا سيما في المدن الكبيرة كالقاهرة ودمشق والقدس وحلب، وكان الأطباء ييكرن إلى المستشفيات يتفقدون المرضى، ويأمرون بإعداد ما يصلح لهم من الأدوية^{٧٩}.

كما تأسست مدارس طبية لتخريج أطباء مؤهلين، وكان الطلاب يلازمون مشاهدة المرضى في البيمارستان ويتعرفون على أمراضهم، وما يضعه الأطباء لهم، وما يكتبون للمرضى في تذكرة الصلاح (القانون الطبي)، وكان لا يسمح لأي منهم بمزاولة مهنة الطب إلا بعد إثبات جدارته^{٨٠}.

ومن أهم البيمارستانات في القاهرة ما ذكره بن جبير أنه شاهد بالقاهرة مارستانًا يعتبر من مفاخر صلاح الدين، وهو قصر من القصور الرائعة حسنًا واتساعًا، وكان له قيم وضع لديه خزائن العقاقير، وقد وضعت في مقاصير القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع لهم، كما كان الخدم يتفقدون أحوال المرضى بكرة وعشيا، ويقدمون لهم الأدوية المقررة^{٨١}.

واشتهر الطبيب أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد بن أبي الحسن المتوفي سنة (٥٩٢هـ/١١٩٦م) بصناعة الطب، وجودة المعالجة، وكان أبو عمران بن موسى بن ميمون القرطبي المتوفي سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) يستطب صلاح الدين وولده الأفضل، وصنف عدة كتب منها كتاب "الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد"، وكتاب "المختار في الألف عقار" في الأمراض وأسبابها^{٨٢}. وكان موفق الدين أبو نصر أبي الفتح الياس المطران المتوفي سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) أميز أهل زمانه في الطب، وصنف المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية، وجعلها باسم صلاح الدين الأيوبي، والمقالة النجمية في التدابير الصحية، وآداب طب الملوك^{٨٣}. كما اشتهر أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة موفق الدين الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة المتوفي سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) ممارسته لطب العيون في بيمارستانات القاهرة، وله كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء"، جمع فيه أطباء العالم المشهورين في العصر الأيوبي^{٨٤}.

وكان الأطباء الاختصاصيون يدرسون ما يؤهلهم للتخصص، فقد كان الكحالون يدرسون المقالات العشر في العين من كتاب "حنين ابن اسحق"، وكان ينبغي أن يعرف الكحال تشريح عدد طبقات العين السبعة، وعدد رطوباتها الثلاث وأمراضها. أما المجبرون فعليهم معرفة المقالة السادسة من كتاب "كناش بولص في الجبر" وعدد عظام الآدمي. وعلى الجراحين دراسة كتاب "جالينوس في الجراحات والمراهم" وكتاب "الزهرأوي في الجراح"، ومعرفة أعضاء الإنسان، وما فيه من العضل والعروق والأعصاب، والشرايين وتشريحها^{٨٥}.

وفي عهد الملك الصالح عين رئيساً للأطباء، يمنح الشهادة التي تسمح للطبيب بمزاولة الطب، وكانت الشهادة لا تعطى إلا لمن يثبت كفاءته، ويأخذ بعهد أبقراط الذي يمنع إعطاء الدواء الضار للمريض، كما اهتم الأطباء في

هذا العصر بعلم التشريح وعلم الجراحة والأمراض العصبية^{٨٦}.

كما عرف علم الصيدلة في العصر الأيوبي بأسماء عديدة، منها: علم الأدوية، وعلم العقاقير. وكان يصعب في أوائل الدولة فصل علم الصيدلة عن علم الطب، ذلك أن الطبيب كان يعمل طبيباً وفي الوقت نفسه صيدلياً، فكان الطبيب يفحص المريض ويصف له العلاج ويحضره ثم يقدمه للمريض^{٨٧}.

لقد تقدم علم الصيدلة في العصر الأيوبي، وبدا العلماء يجمعون الأعشاب الطبية ويزرعونها في مزارع خاصة، وابتكرت الكثير من الأدوية، وكانت تجرب على الحيوانات قبل استعمالها على الإنسان، وعرفت المعاجين المختلفة والمراهم والدهانات واللزقات والأشربة، كما أنهم غلفوا حبات الأدوية بغلاف من السكر، واستطاع الزهراوي تحضير الدواء على شكل أقراص^{٨٨}.

لم يكن علم العقاقير لينفصل عن علم الطب، فكان موفق الدين بن شاکر بن أبي سليمان داوود المتوفي سنة (٦١٣هـ / ١٢٢٦م) طبيب الملك الصالح يصنع الدواء، ويبدو أن علم الصيدلة أخذ يستقل، حيث أورد ابن واصل قصة عالم يُدعى "علي بن رشيد الدين الصوري" كان مولعاً بجمع وعمل العقاقير، وقد اتصل بصلاح الدين الأيوبي خلال حصار الفرنجة لعكا سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) ووعدته بإحراق الأبراج الصليبية، وبعد أن استحضر من الأدوية التي يعرفها، وطبخها في قدور، رمى بها أحد الأبراج، فاشتعل من ساعته، وصار كالجبل العظيم من النار، وعليه صاح المسلمون بالتكبير والتهليل، ثم رمى بالثاني والثالث، فأحرق الأبراج كلها^{٨٩}. وابتدع العلماء في العصر الأيوبي طرقاً كثيرة في تحضير الأدوية، كالتقطير والترشيح والتبخير، والغسل والتدويب، والإحراق والسحق، وكان المحتسب يراقب عمل الصيدلي، ولا يسمح له بممارسة العمل إلا بعد أن يجتاز امتحاناً لذلك، وانتشرت الصيدليات في الدولة الأيوبية، وكان العلاج لا يوصف إلا بوصفة طبية، واشتهر عدد ممن عملوا بعلم الأدوية منهم ابن باجة المتوفي سنة (٥٣٣هـ / ١١٣٨م) وأمين

الدولة بن التلميذ المتوفي سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٤م)، وكذلك داوود بن أبي البيان المتوفي سنة (٦٣٦هـ / ١٢٣٩م) والذي عاش في القاهرة وكان أقدر أهل زمانه على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها، وألف كتاب أسماه "الدستور البيمارستاني" وهو يقتصر على الأدوية المركبة المستعملة في بيمارستانات مصر والشام والعراق^{٩٠}.

يتضح مما تقدم أن دراسة العلوم العقلية كالطب والصيدلة ارتفع شأنها في العصر الأيوبي، وتقدمت وسائل دراستها، وذخرت المكتبات بما أفه كثير من الأطباء، وتعددت "البيمارستانات" في الدولة الأيوبية، وكان الأطباء الاختصاصيون يدرسون ما يؤهلهم للتخصص، كما تم تعيين رئيس للأطباء يمنح الشهادة التي تسمح للطبيب بمزاولة الطب، وكانت الشهادة لا تعطى إلا لمن يثبت كفاءته، كما تقدم علم الصيدلة في هذا العصر، وابتدع العلماء طرقاً كثيرة في تحضير الأدوية.

خامساً - العلوم في المؤسسات الصوفية (الزوايا والربط والخوانق)

حرص نور الدين ومن بعده صلاح الدين وخلفاؤه على بناء الكثير من الربط والزوايا والخوانق، ووقف على كل منها الوقوف، وأصبحت مأوى يلجأ إليها العلماء والرحالة وطلاب العلم الذين ينتقلون في أرجاء العالم الإسلامي، كما أصبحت مراكز للمتصوفة، وممن نذورا أرواحهم في سبيل الله ونصرة الدين، وقد اشتهرت بأنها كانت مدارس لتعليم الذي يعيشون فيها، كان فيها حلقات التعليم، وبخاصة تعليم القراءة والكتابة والقرآن والحديث، وشعر المواعظ الذي يسمى الرقائق، وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للمطالعة والكتابة، يساعدهم على ذلك وجود مكتبات فيها^{٩١}.

وقد ساهمت الربط في بعث الحركة العلمية وتشجيع حركة الجهاد في سبيل الله، وتوجيه الناس وقادتهم إلى الطريق الصحيح، ويلاحظ أن كثيراً من

كتب التصوف ألفت في الربط، لأنها كانت مجمعاً للزهاد والمتصوفة، وكانت الربط أحياناً دار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه^{٩٢}.

كما ساهمت الزوايا في التعليم، فكانت مراكز لتحفيظ القرآن وتعليم الدين، بالإضافة إلى دعوة شيوخها إلى الجهاد وإقامة الأذكار، وكان كبار الشيوخ يدرسون في الزوايا كما يعلمون في المدارس سواء بسواء، حيث كان يطلق أحياناً على بعض الزوايا اسم المدارس، كونها تحتوي على خزائن كتب موقوفة يجتمع فيها الناس ويروي عليهم الحديث وعلومًا أخرى. أما الخوانق فقد أقيمت فيها الحلقات الدراسية، وشملت تدريس اللغة العربية والفقه وحفظ القرآن والقراءات بالروايات المختلفة، ودروس الحديث، وكان المدرسون يقومون بالوعظ، كما كانت تحتوي الخوانق على خزائن للكتب المختلفة من علوم اللغة والفقه والنحو والفلك، كما كان من في الخوانق ينسخون الكتب، وقد خصص لكل جماعة من الطلبة الذين يقيمون في الخوانق مدرسين يعلمونهم على مراسيم التصوف^{٩٣}.

الخاتمة

ركز هذا البحث على اتجاهات العلوم في المؤسسات التعليمية في القاهرة خلال العصر الأيوبي، وذلك من خلال استعراض موضوعات وأنواع العلوم التي يتم تدريسها واتجاهات المؤسسات التعليمية في القاهرة خلاله، وتوضيح دور المؤسسات التعليمية في ازدهار الحياة العلمية، حيث تأثرت المؤسسات التعليمية وموضوعاتها ومناهجها بالواقع السياسي والديني والاجتماعي والثقافي في تلك الحقبة الزمنية، وانعكس ذلك في وجوه عديدة، بشكل إيجابي أو سلبي على الحركة التعليمية.

ومن خلال ما جاء في البحث، فقد تم التوصل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً- النتائج:

١. حرص الأيوبيون على تشييد المدارس وإقامة المساجد في القاهرة لدعم المذهب السني، ودعموا المكتبات والزوايا والربط والخانقاوات لزيادة شعبية الحكام بين الناس واكتساب ثقتهم، وأسسوا دور القرآن والحديث لتكون جميعها مراكز ومؤسسات تعليمية للمسلمين، ولرغبتهم في بلوغ الثقافة العربية الإسلامية مرحلة متقدمة من التطور، واتساع الحاجة للتعليم في المجتمع.

٢. كانت القاهرة في عصر الأيوبيين محور نشاط علمي وفكري كبير جاء مصاحباً للنشاط الديني والاقتصادي المزدهر، واتضح أن إجلال السلاطين والأمراء في العصر الأيوبي للعلم والعلماء، ومشاركتهم في تحصيله، وإقامة العديد من المنشآت الدينية والتعليمية، وحبس الأوقاف عليها، ساهم في التشجيع على تحصيل العلم ورعاية الطلاب والعلماء.

٣. ازداد إقبال الطلاب في العصر الأيوبي على الانخراط في المدارس

لتوسيع ثقافتهم، وتعميق إدراكهم لمختلف العلوم، فاختصت بعض المدارس في التركيز على أحد المواضيع، كأن تختص في تدريس الفقه، أو تدريس علوم القرآن الكريم أو الحديث أو العلوم الإنسانية أو الأدبية أو العقلية كالطب والصيدلة، وبهذا تنوعت المدارس وفقاً للمواضيع التي تركز عليها.

٤. كانت المهمة الأساسية للمعلمين في العصر الأيوبي هي التربية والتعليم، فكان عليهم تربية الناشئة من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية، وتقويم سلوكهم، وتعويدهم الاعتماد على النفس، كما كان المعلم يعتمد على استخدام قدرة الطلاب العقلية أثناء تعليمهم، حيث اعتمدوا على طريقة التكرار لتحفيز الطلاب. كما اعتمد المعلمون على عدة طرق أثناء تدريس المناهج، ومنها: التلقين، المحاضرة، الإلقاء، والمناظرة والمناقشة.

٥. حظيت العلوم الدينية بمزيد من الاهتمام في العصر الأيوبي، لما وجدته العلماء والفقهاء من تشجيع السلاطين والأمراء لإحياء علوم الدين والتي شملت القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه، وكان المنهاج التعليمي بناءً متكاملاً، تتكامل فيه العلوم الدينية والدنيوية، لكي يتزود المتعلمون بثقافة عامة تمدهم بتكامل معرفي، وركز المعلمون في تدريسهم على علم قراءة القرآن وتلاوته، كما أوصى العلماء في العصر الأيوبي بتدريس الحساب لما هو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث، بالإضافة إلى الطب والصيدلة.

٦. كثر المؤرخون الذين عنوا بكتابة التاريخ في العصر الأيوبي، فمن المؤرخين من انصرف إلى بحث التاريخ العام الذي يتناول تاريخ الأمم عبر العصور المختلفة، ومنهم من انصرف إلى التاريخ الخاص الذي يتناول تاريخ بعض الأقطار على وجه الخصوص، ومنهم من اتجه

إلى جمع التراجم وتاريخها وتصنيف الطبقات على اختلافها، حيث اتجه هؤلاء المؤرخون إلى كتابة حياة الصحابة ورواة الحديث وأعيان البلاد، ومنهم من اتجه إلى كتابة ترجمة حياته.

٧. تبين ارتفاع شأن دراسة العلوم العقلية كالطب والصيدلة في العصر الأيوبي، وتقدمت وسائل دراستها، وذهرت المكتبات بما ألفه كثير من الأطباء، وتعددت "البيمارستانات" في الدولة الأيوبية، وكان الأطباء الاختصاصيون يدرسون ما يؤهلهم للتخصص، كما تم تعيين رئيس للأطباء يمنح الشهادة التي تسمح للطبيب بمزاولة الطب، وكانت الشهادة لا تعطى إلا لمن يثبت كفاءته، كما تقدم علم الصيدلة في هذا العصر، وابتدع العلماء طرقاً كثيرة في تحضير الأدوية.

٨. تعتبر الأوقاف من أهم الموارد المالية التي استخدمت في تمويل المؤسسات التعليمية في القاهرة في العصر الأيوبي، لذلك حرص السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة على إنشاء المدارس وتمويلها وحبس الأوقاف عليها حتى تؤدي رسالتها على أكمل وجه، وتدعيم نظامها وتمكينها من القيام برسالتها وتخريج أجيال مؤهلة و متمكنة معرفياً ودينيًا.

٩. اتضح أن المؤسسات الصوفية، كالزوايا والربط والخوانق، ساعدت على تعليم القرآن الكريم والسنة واللغة العربية والعلوم الأخرى لروادها زمن الأيوبيين، وبالتالي تعميق الفكر الديني، كما ساهمت في تشجيع المتصوفة والمحتاجين في اللجوء إليها لتعلم الإسلام ودفع شبح الجوع عن كثير من طبقات الشعب، وهو إسهام في حل المشاكل الاجتماعية.

ثانياً - التوصيات:

١. إقامة مراكز بحوث متعددة تهتم بدراسة إسهامات المؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد والزوايا والربط والخانقاوات في العصر الأيوبي في تقدم الحضارة الإسلامية، وكذلك إثراء الحضارة الإنسانية بمختلف العلوم الدينية والدنيوية.
٢. حث رجال الأعمال على الاهتمام بالمؤسسات التعليمية ومراكز الأبحاث من حيث الإنفاق عليها وتمويلها، أسوة بما كان عليه الأعيان ورجال الدولة في العصر الأيوبي الذين أنشأوا المدارس من ثرواتهم الخاصة وحبسوا عليها الأوقاف، مما يساهم في دعم النهضة التعليمية من خلال دعم البنية التحتية للمدارس ومرافقها المتعددة، لا سيما المختبرات والمكتبات ومراكز التعلم وتطوير المنصات الإلكترونية وتنظيم وإقامة المعارض والمؤتمرات التعليمية.
٣. مثل الجهد الأهلي "الأوقاف" الجزء الأكبر من تمويل الخدمات الطلابية في العصر الأيوبي، وكان الدافع الديني أحد الدوافع الهامة وراء هذا العمل، الأمر الذي يدعونا إلى العمل على تشجيع الجهد التعاوني الأهلي لتوفير الخدمات الطلابية، وذلك من خلال تشجيع الجمعيات للعمل في هذا المجال وتوعية أفراد المجتمع بأهمية تعاونهم لتقديم هذه الخدمات.
٤. أشار البحث إلى النهضة التعليمية التي شهدتها المجتمع المصري في العصر الأيوبي، كان وراءها ما تمتع به المعلمون وطلاب العلم في ذلك العصر من خدمات عديدة شملت الإقامة والتغذية والصحة وغيرها، ولذلك فإن تطوير النظام التعليمي والاهتمام به وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، لا بد أن يتم في ضوء هذا الفهم لتطوير المنظومة التعليمية دون تقديم أنواع مختلفة من الخدمات لرعاية الطلاب والارتقاء من شأن ومكانة المعلمين.

الهوامش:

- ١- شوكت عارف الأثروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، دار دجلة للنشر، بغداد، ٢٠٠٧م، ص ٢٩.
- ٢- أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في المذهب السني، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٠٩م، ص ١٤٥.
- ٣- محمد إبراهيم الداودي، تمويل المدارس في العصر الأيوبي، مجلة كلية التربية، بورسعيد، العدد ٧، ٢٠١٠م، ص ٤٢.
- ٤- المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م، ص ١٣.
- ٥- أحمد فكري، تاريخ مساجد القاهرة ومدارسها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٢.
- ٦- محمد عمر أمين، الأوقاف والتعليم في مصر زمن الأيوبيين، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٦١.
- ٧- أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٩.
- ٨- محسن بجاح، منهجية التعليم في مقدمة ابن خلدون، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٩.
- ٩- محمد عمر أمين، مرجع سابق، ص ١١٣.
- ١٠- عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٨٧.
- ١١- محمد عمر أمين، مرجع سابق، ص ٩٨.
- ١٢- منذر الحايك، العصر الأيوبي - قرن من الصراعات الداخلية، دار صفحات للدراسات، دمشق، ط ١، ٢٠١١م، ص ٩٢.
- ١٣- عفاف سيد صبره، المدارس في العصر الأيوبي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٠٢.

- ١٤- نعمان سليمان، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٩.
- ١٥- نجلاء حامد، أماني عبد القادر، تاريخ التعليم في مصر، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٨٩.
- ١٦- محمد إبراهيم الداودي، مرجع سابق، ص ١٦٧.
- ١٧- سورة القصص (الآية ٧٧).
- ١٨- نصر جمعة نصر، الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، ١٩٩٤م، ص ٨٩.
- ١٩- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٢م، ص ١٦٣.
- ٢٠- جمعان محمد الوند، الأوقاف وإنفاقها على المدارس في مصر في العصر الأيوبي، مجلة التراث والتصميم، مج ٢، ع ٤، ٢٠٢١م، ص ١١٠.
- ٢١- محمد زارع الأسطل، الحياة الفكرية والثقافية في مدينة القدس في العهد الأيوبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، ٢٠١٤م، ص ٣٣.
- ٢٢- جمال علي الدهشان، الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مج ١، ع ٢، كلية التربية، جامعة حلوان، مصر، ١٩٩٥م، ص ٥١.
- ٢٣- عمار محمد النهار، الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر الأيوبيين، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٠م، ص ١١٦.
- ٢٤- جمعان محمد الوند، مرجع سابق، ص ١١٦.
- ٢٥- علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامي في العصر الأيوبي في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٦٩.
- ٢٦- فواز بن علي الدهاس، الوقف - مكانته وأهميته الحضارية، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، ١٤٢٠م، ص ٧٢.
- ٢٧- محمد إبراهيم الداودي، مرجع سابق، ص ٦٩.
- ٢٨- نجلاء حامد، أماني عبد القادر: مرجع سابق، ص ٥٣.
- ٢٩- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٥٧.

- ٣٠- النعيمي، عبد القادر بن محمد بن عمر الدمشقي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ١٥٧.
- ٣١- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٦٩.
- ٣٢- محمد عمر أمين، مرجع سابق، ص ٩٤.
- ٣٣- محمد إبراهيم الداودي، مرجع سابق، ص ٨٤.
- ٣٤- فواز بن علي الدهاس، مرجع سابق، ص ٧٧.
- ٣٥- عبد الغني عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٤٨.
- ٣٦- نعمان سليمان، مرجع سابق، ص ١١٢.
- ٣٧- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ٨٩.
- ٣٨- جمال على الدهشان، تكافؤ الفرص التعليمية، المفهوم ومظاهر التطبيق في عصور الازدهار الإسلامي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، كلية التربية، جامعة المنوفية، السنة ٩، العدد ٣، ٢٠٠٣م، ص ٣٧.
- ٣٩- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٧١.
- ٤٠- أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٥٦.
- ٤١- عبد الغني عبد المعطي، مرجع سابق، ص ٨٧.
- ٤٢- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١١٢.
- ٤٣- عبد العظيم رمضان، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٨٧.
- ٤٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٢٠٦.
- ٤٥- علي سالم النباهين، مرجع سابق، ص ٦٩.
- ٤٦- محمد عمر أمين، مرجع سابق، ص ٩٦.
- ٤٧- نجلاء حامد، أماني عبد القادر: مرجع سابق، ص ١١٧.
- ٤٨- أيمن شاهين سلام، مرجع سابق، ص ٨٢.

٤٩- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١٢، تحقيق: صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٩٣.

٥٠- جمال الدهشان، تكافؤ الفرص التعليمية، المفهوم ومظاهر التطبيق في عصور الازدهار الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٦.

٥١- عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، مرجع سابق، ص ٤٣.

٥٢- نصر جمعه نصر، مرجع سابق، ص ٨١.

٥٣- محمد زارع الأسطل، مرجع سابق، ص ٥٩.

٥٤- نصر جمعة نصر، مرجع سابق، ص ٧١.

٥٥- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٨٩.

٥٦- أحمد عبد الرزاق، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، دار النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٣٦.

٥٧- جمعان محمد الوند، مرجع سابق، ص ١٢٧.

٥٨- أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ١١٤.

٥٩- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١٠٥.

٦٠- عفاف سيد محمد صيره، مرجع سابق، ص ١٢٨.

٦١- ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، عدد المجلدات ٥، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط ٢، ٢٠١٥م، ص ١٢٢.

٦٢- أحمد فكري، مرجع سابق، ص ٨٤.

٦٣- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٣٩.

٦٤- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر الأيوبيين والمماليك في كتاب تاريخ مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٤١.

٦٥- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١١٥.

٦٦- تُعدُّ الأربعينات من أشهر أصناف كتب الحديث الشريف، وأكثرها تأليفًا وتنوعًا. وهي تُبرز، فيما تُبرز، تقنن الأئمة المحدثين، وبراعتهم في تجديد عرض مادتهم العلمية، وتقريبها إلى عموم المسلمين. وقد بدأ التأليف في الأربعينات في القرن الثاني الهجري، حيث صنف ابن المبارك (ت ١٨١هـ) كتابًا في الأربعين، ثم ما كاد يخلو قرن من تأليف في الأربعين بعد ذلك، حتى عصرنا الحاضر، وألّف فيها مشاهير العلماء وغيرهم.

انظر: فوائد شرح الأربعين النووية للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي، متاح على الرابط الإلكتروني: <http://www.saaid.net/twitter/386.htm> تاريخ الإطلاع: ٢٠٢٢/١٢/٦م.

٦٧- القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٠٥هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٨٧.

٦٨- عبد الغني عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٧٣.

٦٩- محمد زارع الأسطل، مرجع سابق، ص ١٩١.

٧٠- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١١٥.

٧١- أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ١١٨.

٧٢- نصر جمعة نصر، مرجع سابق، ص ١٤٤.

٧٣- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ١٢٩.

٧٤- أحمد فكري، مرجع سابق، ص ٩١.

٧٥- عبد الغني عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٧٧.

٧٦- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١١٩.

٧٧- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٣٩.

٧٨- القزويني، مصدر سابق، ص ١٧٦.

٧٩- أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص ١٥٣.

٨٠- عبد الغني عبد المعطي، مرجع سابق، ص ٩٧.

٨١- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١٩٤.

- ٨٢- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٥٦.
- ٨٣- إبراهيم الداودي، مرجع سابق، ص ١٣٩.
- ٨٤- ابن واصل، مصدر سابق، ص ١٨١.
- ٨٥- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، ص ١٨٩.
- ٨٦- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ١٩٩.
- ٨٧- عبد الغني عبد المعطي، مرجع سابق، ص ١٠٣.
- ٨٨- شوكت عارف الأتروشي، مرجع سابق، ص ٢٠٢.
- ٨٩- ابن واصل، مصدر سابق، ص ١٨٩.
- ٩٠- العيني، أبو محمد بدر الدين الحنفي (ت ٨١٩هـ / ١٤١٦م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٩م، ص ١٦٢.
- ٩١- عبد الرزاق أحمد وادي، وقف الرباط والخوانق والزوايا في بلاد الشام ومصر في العصر الأيوبي، مجلة جامعة سامراء، مج ٨، ع ٢٩، ٢٠١٢م، ص ١-٢.
- ٩٢- عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، مرجع سابق، ص ٨٩.
- ٩٣- سعاد عبود بن عفيف، الربط في المجتمع المسلم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٤، ص ٣٢.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج ١٣، تحقيق: محمد أمين، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٨٨م.

ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط ٢، ٢٠١٥م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١٢، تحقيق: صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٤م.

العيني، أبو محمد بدر الدين الحنفي (ت ٨١٩هـ / ١٤١٦م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عمر أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٩م.

القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٠٥هـ / ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م.

المقريزي، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٤، تحقيق: أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان للتراث

- الإسلامي، لندن، ٢٠٠٢م. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨١م.
- النعمي، عبد القادر بن محمد بن عمر الدمشقي (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م.

ثانياً- المراجع:

- أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.
- أحمد عبد الرزاق، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، دار النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- أحمد فكري، تاريخ مساجد القاهرة ومدارسها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.
- أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- سعاد عبود بن عفيف، الربط في المجتمع المسلم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٤م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر الأيوبيين والمماليك في كتاب تاريخ مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، دار دجلة للنشر، بغداد، ٢٠٠٧م.

عبد العظيم رمضان، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

عبد الرزاق أحمد وادي، وقف الرباط والخوانق والزوايا في بلاد الشام ومصر في العصر الأيوبي، مجلة جامعة سامراء، مج ٨، ع ٢٩، ٢٠١٢م.

عفاف سيد محمد صبره، المدارس في العصر الأيوبي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٩٢م.

علي سالم النباهين، نظام التربية الإسلامي في العصر الأيوبي في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م.

عمار محمد النهار، الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٠م.

محسن بجاح، منهجية التعليم في مقدمة ابن خلدون، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

محمد عمر أمين، الأوقاف والتعليم في مصر زمن الأيوبيين، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٩٨م.

منذر الحايك، العصر الأيوبي - قرن من الصراعات الداخلية، دار صفحات للدراسات، دمشق، ط ١، ٢٠١١م.

نجلاء حامد، أماني عبد القادر، تاريخ التعليم في مصر، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

نعمان سليمان، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٧م.

ثالثاً - الرسائل العلمية والدوريات:

أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في المذهب السني، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ٢٠٠٩م.

جمال علي الدهشان، الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مج ١، ع ٢، كلية التربية، جامعة حلوان، مصر، ١٩٩٥م. تكافؤ الفرص التعليمية، المفهوم ومظاهر التطبيق في عصور الازدهار الإسلامي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، جامعة المنوفية، السنة ٩، العدد ٣، ٢٠٠٣م.

جمعان محمد الوندية، الأوقاف وإنفاقها على المدارس في مصر في العصر الأيوبي، مجلة التراث والتصميم، مج ٢، ع ٤، ٢٠٢١م.

عبد الغني عبد المعطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.

فواز بن علي الدهاس، الوقف - مكانته وأهميته الحضارية، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، ١٤٢٠م.

محمد إبراهيم الداودي، تمويل المدارس في العصر الأيوبي، مجلة كلية التربية، بورسعيد، مصر، العدد ٧، يناير ٢٠١٠م.

محمد زارع الأسطل، الحياة الفكرية والثقافية في مدينة القدس في العهد الأيوبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، ٢٠١٤م.

نصر جمعة نصر، الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، ١٩٩٤م.